تحذير وتخويف لا يتفكر فيه متفكر إلا ويطول حزنه ويعظم خوفه وإن كان موقنا بما فيه ويرى الناس
يهذونه هذا يخرجون الحروف من مخارجها ويتناظرون في رفعها وخفضها ونصبها وكأنهم
يقرؤون شعرا من أشعار العرب لا يهمهم الالتفات إلى معانيه والعمل بما فيه وهل في العالم غرور
يزيد على هذا فهذه أمثلة الغرور بالله عز وجل بيان الفرق بين الرجاء والغرور ويقرب منه
غرور طوائف لهم طاعات ومعاص إلا أن معاصيهم أكثر وهم يتوقعون المغفرة ويظنون أنهم تترجح
كفة حسناتهم مع أن ما في كفة السيئات أكثر وهذا غاية الجهل فترى الواحد يتصدق بدراهم معدودة
من الحلال والحرام ويكون ما يتناوله من أموال الناس والشبهات أضعافه ولعل ما يتصدق به
هو من مال المسلمين وهو يتكل عليه ويظن أن أكل ألف درهم حرام يقاومها التصدق بعشرة دراهم
من الحلال والحرام وما هو إلا كمن وضع عشرة دراهم في كفة ميزان وفي الأخرى ألفا وأراد أن ترفع
الكفة الثقيلة الكفة الخفيفة وذلك غاية جهله نعم ومنهم من يظن أن طاعاته أكثر
من معاصيه لأنه لا يحاسب نفسه ولا يتفقد معاصيه وإذا عمل طاعة حفظها واعتد بها كالذي
يستغفر الله بلسانه أو يسبحه ثم يغتاب المسلمين ويمزق أعراضهم ويتكلم بما لا يرضي الله
طول النهار من غير حصر وعدد ويعد استغفاره وتسبيحه ويغفل عن هذيانه طول نهاره
الذي لو كتبه لكان مثل تسبيحه مرات كثيرة وقد كتبه الحفظة وعلق الله العقاب
على كل كلمة فقال ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد فهو أبدا يتأمل في فضل التسبيح و
التهليل ولا يلتفت إلى ما ورد في عقوبة المغتابين والكذابين وهذا محض الغرور ولعمري
لو كان الكرام الكاتبون يطلبون منه أجرة النسخ لما يكتبونه من هذيانه الذي زاد على تسبيحه
لكان عند ذلك يكف لسانه حتى عن جملة من مهماته فيا عجبا لمن يحاسب نفسه
ويحتاط خوفا على قيراط يفوته من الأجرة على النسخ ولا يحتاط خوفا من فوت الفردوس
الأعلى ونعيمه ما هذه إلا مصيبة عظيمة لمن يتفكر فيها فقد دفعنا إلى أمر إن شككنا
فيه كنا من الكفرة الجاحدين وإن صدقنا به كنا من الحمقى المغرورين فما هذه أعمال من يصدق
بالقرآن ونحن نبرأ إلى الله أن نكون من أهل الكفر فسبحان من صدنا عن التنبه واليقين
مع هذا البيان وما أجدر من يقدر على تسليط مثل هذه الغفلة والغرور على القلب أن

يخشى وينقى ولا يغتر به اتكالا على أباطيل المنى وتعاليل الشيطان والهوى بيان أصناف
المغترين وأقسام فرق كل صنف من الأصناف الأربعة الصنف
الأول أهل العلم والمغترون منهم فرق فرقة منهم أحكموا العلوم الشرعية والعقلية
وتعمقوا فيها واشتغلوا بها وأهملوا تفقد الجوارح وحفظها عن المعاصي وإلزامها الطاعات واغتروا بعلمهم
وظنوا أنهم عند الله بمكان وأنهم قد بلغوا من العلم مبلغا لا يعذب الله مثلهم بل يقبل شفاعتهم
لكرامتهم عليه وهم مغرورون فإنهم لو نظروا بعين البصيرة علموا أن العلم علمان علم معاملة
وعلم مكاشفة وعلم المكاشفة هو العلم بالله وبصفاته وهو المسمى بالعادة علم المعرفة فأما
علم المعاملة فكمعرفة الحلال والحرام ومعرفة أخلاق النفس المذمومة والمحمودة وكيفية علاجها
والفرار منها فهي علوم لا تراد إلا للعمل ولولا الحاجة إلى العمل لم يكن لهذه العلوم قيمة فكل
علم يراد للعمل فلا قيمة له دون العمل ومثال هذا كمريض به علة لا يزيلها إلا دواء مركب
من أخلاط كثيرة لا يعرفها إلا حذاق الأطباء فسعى في طلب الطبيب وهاجر عن وطنه حتى عثر
على طبيب حاذق فعلمه الدواء وفصل له الأخلاط ومقاديرها وأنواعها ومعادنها
وعلمه كيفية دق كل واحد منها وخلطه وعجنه فتعلم ذلك منه وكتب منه نسخة عنده
ورجع إلى بيته وهو يكررها ويعلمها المرضى ولم يشتغل بشربها واستعمالها أفترى أن ذلك
يغني عنه من مرضه شيئا هيهات ولو كتب منه ألف نسخة وعلمها ألف مريض حتى شفي
مرضهم لم يغن ذلك من مرضه شيئا إلى أن يزن الذهب ويشتري الدواء ويخلطه كما تعلم
ويشربه ويصبر على مرارته ويكون شربه في وقته وبعد الاحتماء فإذا فعل ذلك فهو
على خطر من شفائه فكيف إذا لم يشربه أصلا فمهما ظن أن ذلك يكفيه ويشفيه فقد ظهر
غروره وهكذا الفقيه الذي أحكم علم الطاعات ولم يعملها وأحكم علم المعاصي ولم
يجتنبها وأحكم علم الأخلاق المحمودة ولم يتصف بها وأحكم علم الأخلاق المذمومة ولم
يطهر نفسه منها فهو مغرور إذ قال تعالى قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ولم يقل
قد أفلح من علم كيفية تزكيتها وكتب علمها وعلمه للناس وعند هذا يقول له الشيطان
لا يغرنك هذا المثال فإن العلم بالدواء لا يزيل المرض وإنما مطلبك القرب من الله وثوابه والعلم

Copyright © King Saud University